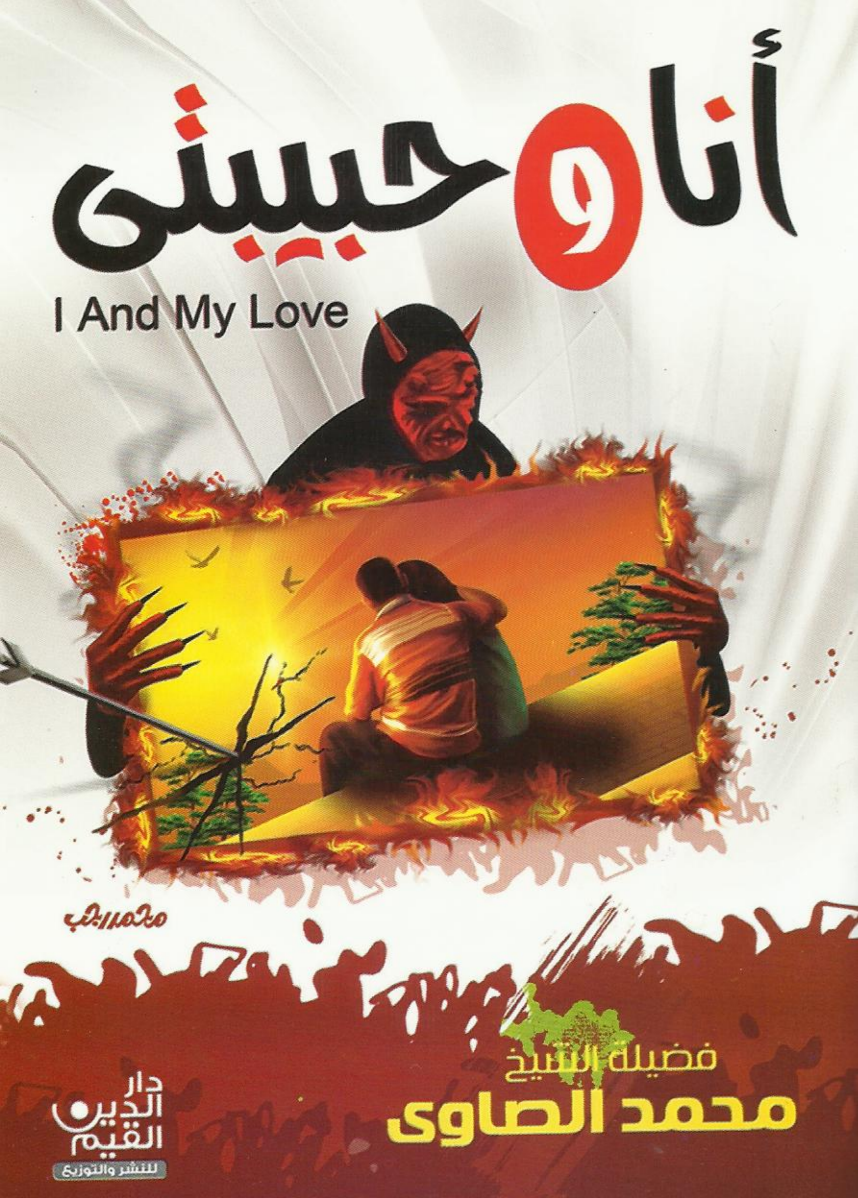


أنا و حبيبتى
I And My Love
محمد رجب
فضيلة الشيخ
محمد الصاوى
دار الدين القيم
للنشر والتوزيع

أنا وحبيبي

تاليف

الشيخ محمد الصاوي



اسم الكتاب: أنا وحبيبتي.

المؤلف: الشيخ محمد الصاوي.

عدد الصفحات: ٤٨.

الطبعة الأولىٰ: ٢٠١٢م - ١٤٣٣هـ.

رقم الإيداع: ٢٠٣٣/ ٢٠١٢.

الناشر: دار الدين القيم للنشر والتوزيع.

التليفون: ٠١١١٦٥٦٩٤٩٤-٠١٠٩٤٩٩٩٦٠٢

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله رب العالمين، فاطرِ السموات والأرضين وخالقِ الخلق أجمعين.

هنيئًا لمن أضحى وأنت حبيبه
ولو أن لَوعَات الغَرام تذيبه
وطُوبى لصَبٍ أنت ساكن سرهُ
ولو بَانَ عنه إلفُهُ وقريبه
ومَا ضَرَّ صبًا أن يبيت وما له
نَصِيبٌ مِنَ الدُّنْيَا وأَنْتَ نَصِيبُهُ
ومن تُكُ راضٍ عنه في طَيِّ غيبه
فما ضرَّه في الناس من يستغيبه
فيا علَّة في الصدر أنت شِفَاؤها
ويا مرضًا في القلب أنْت طبيبه
عُبَيْدُكَ في بَاب الرجَا متضرعًا
إذا لم تُجبه أنْت من ذا يجيبه

بعيدًا عـــن الأوطـــان يَـــبكي بِذلَّـــة
وهـــل ذاقَ طعـــمَ الذُّلِّ إلَّا غريبـــه
تـــصدَّق على مـــن ضـــاع منـــه زمَانُـــه
ولـــم يَـــدْرِ حـــتَّى لاحَ منـــه مَـــشِيبه
غَـدَى خـــاسرًا فالعـــار يكفيـــه والعَنـــا
وقـــد آنَ مـــن ضَـــوء النَّهـــار مَغِيبـــه

والصلاةُ والسلامُ على قائدِ الغُرِّ المُحجَّلين، نبيِّنا محمد الصادق الأمين، وعلى آله وصحبه ومن سار على طريقه إلى يوم الدين .

إن الرســـول لنـــور يستـــضاء بـــه
مهنـــد مـــن ســـيوف الله مـــسلولُ

وبعد ..

أيها الإخوة الأحباب ..

.. أنا وحبيبتي ..

زفرات عشاق .. وأنات محبِّين .. وتوجُّعات مُغرَمين ..

هي رسائل أبثها لإخواني المسلمين ..

حديثٌ من القلب إلى القلب، وخطابٌ من المحبِّ إلى المحبِّ، في زمان أصبح فيه الحب سلعةً رخيصةً.

إلى كل شاب يشتكي من هجر حبيبته له ..

إلى كل فتاة تحزن من بُعد عَشِيقَها ..

إلى كل اثنين شَرِبا كأسَ الغرام سويًّا، سَهِرا ساعات طويلة من الليل، تجرَّعا الغُصص والآلام ..

إنهما يحبان بعضهما حبًّا كبيرًا، لكن لماذا هذا الألم الذي يجدانه ..

.. إلى كل الشباب والفتيات ..

أنتم الآن تشاهدون هذه الصورة، وتطرق مَسامِعَكم هذه الكلمات، وتحس قلوبكم بذلك الشعور الغريب.

* * *

سميرة والإنترنت

أنا سميرة» المسكينة .. أروي لكم قصتي من داخل غرفتي الصغيرة، وبجواري طفلي الرضيع «مراد» وهو نائم ..

أكتب كلماتي والحسرة والألم يَفتِكان بفؤادي ..

كنت ككلِّ الفتيات، أحلمُ بذلك الحلم الوردِيِّ الجميل، عندما ألبس فستان الزفاف، وعندما أدخل إلى عش الزوجية السعيد، حتى رزقني الله بزوجٍ صالحٍ.

وتحققت الأمنيات .. وعشت معه أجمل حياة ..

أقسم لكم أن كل شيء كنت أراه بجوار زوجي كان جميلًا، وكل صوت كنت أسمعه في داخل بيتي كان رائعًا شجيًا.

رزقنا الله بفتاة جميلة أسميناها «فاطمة»، ملأَتِ البيتَ فرحة وسرورًا.

كان زوجي «غانم» يعمل في شركة لا بأس بها، يتقاضى فيها راتبًا عاليًا، وكنا نعيش في فضلٍ مِن الله ونعمةٍ، يعود الزوج من عمله، فإذا المنزل مرتَّب جميل، وإذا السكون يكتنفُهُ، فأستقبِلُهُ عند الباب بِقُبلاتي الدافئة، فيقول لي بصوت حنون: «هل صلَّيتِ يا سميرة؟»

فأقول: «نعم»، وأسارع بخلع معطفه وثوبه، وأهيِّئ له حذاء الخلاء، ليغسل وجهه، بينما أنا أعدَّ مائدة الغداء.

مرت الأيام الحلوة وأنا لا أزال أشعر بحلاوتها حتى الآن، كانت لي جارة تدعى ليلى، وكانت مدرِّسة ماهرة، وكان لديها جهاز كمبيوتر، وكانت تكثر من الدخول على الانترنت، كنت أزورها باستمرار، فأجدها تتحدث على (الشَّات) لقد أخبرتني أن لها أصدقاء وصديقات في الإنترنت، وشجعتني على أن أطلب من زوجي شراء جهاز كمبيوتر، وإدخال (النت) إلى المنزل.

مرَّت الأيام .. وفي كل يوم أجد ليلى تتحدث عن أصدقائها، وعن الحب والغرام معهم، وكيف أنها تتسلَّى في وحدتها في البيت مع هؤلاء الأصدقاء عن طريق الإنترنت.

عرضْتُ الفكرة على زوجي فرفض بادئ الأمر، ثم وعدني بعد مجيء المولود الجديد ..

ومرَّت الأيام سريعًا فرزقنا الله بـ «مراد»، واشترى لي زوجي جهاز الكمبيوتر، كنت استغلُّ وقت ذهابه إلى العمل ووقت نزوله إلى الصلوات في الدخول على الإنترنت والشات.

كان زوجي يملؤني حبًّا وحنانًا، وأُشهد الله -سبحانه وتعالى- أنه لم يقصر معي في يوم من الأيام ..

في كثيرٍ من الأحيان كان زوجي يدخل على فجأة فأفاجأ وأحاول إغلاق الصفحة التي أمامي، فيقول: «ما لك يا سميرة؟».

فأقول: «لا شيء، يبدو أن الجهاز بطيء». يبتسم زوجي ويعود إلى هدوئه.

كنتُ أتعلَّمُ عند ليلى على كيفية الكتابة وإرسال واستقبال الملفات والصور، وبدأت منذ تلك اللحظة أدخل عالم الآمال والآلام.

صحيح لقد بدأتُ أفرطُ في الصلاة كثيرًا وأحيانًا أتركها بالأيام، وكان زوجي يعاتبِنُي كثيرًا، مرَّت الأيام وتعرفتُ على شابٍ

في الشات رمز لنفسه بحرف (m) المعذَّب، كان يسكب عليَّ كلماتِ الحبِّ والغرامِ سكبًا، يأسرني بهدوء صوته ونبرته الحنونة.

كنتُ في كثيرٍ من الأحيان أراجعُ نفسي وأقول: «اتَّقي الله يا سميرة، إنك الآنَ تخونين زوجكِ»، ولكنَّ الشيطان والنفس الأمارة بالسوء كانا أقوى مني، وأنا أقولها بصدقٍ: «لو كنت قريبةً من الله؛ لكنتُ الآن أقوى منهم».

لقد بدأتُ أهمل المنزلَ كثيرًا، وربَّما يعود «غانم» من العمل فلا يجد شيئًا مرتَّبًا، حتى ابني الصغير ربما تركتُهُ ساعاتٍ طويلة يبكي، فلا أرضعه لانشغالي بمحبوبي في الإنترنت.

كنتُ أتعجَّبُ من نفسي كثيرًا وأنا استمع لكلمات فتى الشات، إن زوجي يقول لي أكثر من هذا الكلام، ونبرات الصدق في صوت زوجي واضحة، لكنني لستُ أعلم لماذا أحببتُ هذا الفتى كلَّ هذا الحب؟

هل لصوته؟.. هل لحنانه؟.. هل لكلماتِهِ المعسولةِ؟

لقد كنتُ أتمنَّى أن أرى صورته، أقضي الساعات الطويلة أمام الجهاز، ويؤذن المؤذن وينادي نداء الإيمان، ويناديني داعي الإيمان في قلبي، فأجدُ نفسي متكاسلةً بطيئةً،

كان الخوف من الله في قلبي قليلًا بسبب بعدي عنِ القرآن والصلاة وصديقات الخير، كما أنني أعتقد أيضًا أن زوجي لم يكن يعنِّفُني على ضياع الوقت، وكان قد ترك لي العنان دون محاسبة لما أدخل عليه في الإنترنت.

لقد تعرَّفَ ذلك المُعذَّب عليَّ وعلى اسمِي، وكل شيء في حياتي، وقد أخبرتُهُ أنني أجد السعادة مع زوجي، ولست بحاجةٍ إلى أمر آخر، فكان كثيرًا ما يقول: «ولكن الحب له طعم آخر».

أرسل مرَّةً إليَّ صورتَهُ عبر طريق البريد الالكتروني، وكنتُ أنظر إليها مبهورة، مبهورة من نظرات عينيه التي ملأها الشيطان حبًّا وغرامًا، وحركة أصابعه التي وضعها على خده كالحزين أو العاشق.

وبدأ التعلُّق يتغلغل في قلبي، لقد بعدتُ عن الله كثيرًا، تعددتْ تلك الليالي، كنتُ أسهر معه فيها على الشاشة، عندما يكون عند زوجي ورديَّةُ عملٍ ليلية، وأخبرتُهُ بأنني أصبحتُ أحبُّه أكثر من نفسي، وأتمنَّى أن أقابله، مع أنني أخشى من هذه المقابلة، ومترددة فيها، فكان يشكر لي هذه الأمنيات ويقول: «أنتِ أحلى فتاة في الدنيا».

كان يكذب عليَّ، وأنا أعلم أنه يكذب، لكن تلك الكلمة كانت تؤثر فيَّ، لقد نسيتُ حديث رسول الله ﷺ: «**مَا خَلَا رجُلٌ بامرَأةٍ إلَّا كانَ الشَّيطانُ ثَالثَهُمَا**».

نسيتُ القرآنَ الذي كنتُ أقرأه، والأحاديثَ التي كنتُ أسمعها في إذاعة القرآن الكريم، عندما بدأنا الحياة أنا وزوجي «غانم».

لقد ضعفتُ كثيرًا أيُّها الأحباب .. وأصبحتُ أسيرةً لذلك العاشق..

إنني أبكي الآن ..
وأنا أكتب هذه الكلمات ..
سأخبركم بنهاية الحبِّ المأسوية .. الحبِّ الكاذبِ ..

.. نعم يا فتيات الإسلام ..

.. نعم يا شباب الإسلام ..

نعم يا كلَّ عينٍ تقرأُ قصتي .. ويا كلَّ أذنٍ تسمع قصتي ..
ويا كلَّ فؤادٍ يحس بقصتي، كلُّ حبٍ لا يكون في مرضاة الله فهو آلام، كلُّ محبوبٍ سوى الله ثَرى وهمومٌ وغمومٌ وأَسى.

لقد أعطاني ذلك المعذَّب رقم هاتفه المحمول، وطلب منِّي أكثر من مرةٍ أن يسمع صوتي على الهاتف؛ لأن له طعم آخر غير صوتي في الكمبيوتر، وكنتُ أعلم أنه يريد معرفة الرقم الذي سأتصل منه، وكنتُ أتردَّدُ كثيرًا.

حتَّى جاء اليوم الذي أخبرني فيه زوجي بأن شركته ستنتدبه في عمل في مدينةٍ أخرى لمدة ثلاثة أيام، فرحتُ كثيرًا مع أنني تظاهرتُ بأنني حزينة، وكان زوجي يقول لي: «لقد تغيرتِ يا سميرة، إهمالكِ للمنزل، وتضييعكِ للصلاة، وعدم تربيتكِ لابنتنا فاطمة، حتى معاملتكِ لي، وأنا الذي أمنحكِ من الحب والحنان ما لم يمنحكِ أحدٌ غيري، أصبحتِ سريعة الغضب، يرتفع صوتكِ كثيرًا بدون سببٍ، وكل ذلك أظنه لبعدكِ عنِ اللهِ».

وكنتُ أجيبه دائمًا: «لا شيء، أنتَ لا تعرف شيئًا عن تربية الأولاد، أنتَ لا تعرف الحياة وتربية الأولاد، إنَّ تربيتهم وتنظيف ملابسهم كل ذلك يأخذ من وقتي كثيرًا».

كنتُ أعلم أنني أكذب عليه، وهي حججٌ كاذبةٌ، أخذني زوجي وأولادي وأوصلني إلى منزل والدي، ثم ودَّعنا وسافر.

مرتْ ساعاتٌ حتى جاءت صلاة العصر فطلبتُ من والدتي أن تبقى الأولاد معها، ريثما أنزل أنا إلى سوق قريب، لشراء بعض الأشياء.

وخرجتُ وحدي في أول مرَّةٍ في حياتي بعد زواجي، نعم كنتُ أشعر بشعورٍ غريبٍ، أحس كأني وحيدة لا أحد يعرفها، لم يخطر ببالي لو حدث لي مكروه كيف سأخبر أهلي، كنتُ أعلم أن في إسلامنا أن المرأة لا تخرج بدون محرم، لأنها جَوهرة مصونة، فلا بد أن يكون معها من يحفظها ويصونها.

كنتُ كالمجنونة التي أصيبت بداء الحب، بحثتُ عن كابينة اتصالات، وأخرجتُ الرقم من شنطتي، وبدأت أضغط الأرقام واحد اثنان، كانت أصابعي ترتَجِفُ، يا تُرى من سيرد عليَّ؟ وبدأ جرس الهاتف يرن، وفجأة جاء صوته العذب الجميل، نعم من معي؟

فقلتُ: أنا حبيبتكَ «سميرة»؟

لم أستطع أن أتمالك نفسي من سيل الكلمات الغرامية التي صبَّها عليَّ ذلك الرجل في سماعة الهاتف: «أين أنتِ؟».

وصفتُ له المكان تمامًا، وانتظرتُ في الخارج، كنتُ أتردَّد كثيرًا .. هل أهرب؟ هل أعود إلى بيتِ والدي؟ أم أنتظر حتى أقابله، وعلى الأقل ربما أحظى منه بنظرةٍ واحدةٍ.

بعد رُبع ساعة تقريبًا .. توقفتْ أمامي سيارة فخمة، ونزل الزجاج شيئًا فشيئًا، وفجأة ظهر في مقعد السائق صاحبي المعذب، تأكدتُ من ملامحه، إنها نفس الملامح التي رأيتها في الصورة ..

لم أصدق، كنت مذهولة .. فجأة قال: «اركبي يا سميرة».

لم أكشف وجهي له حتى الآن، وترددتُ في الركوب، فألحَّ عليَّ، وقال: «أرجوكِ حبيبتي .. سندور بالسيارة في وسط المدينة سريعًا، وسنعود إلى مكاننا».

وجدتُ قدماي تتجه ببطء نحو السيارة، فتحتُ الباب وركبتُ بجواره.

آه .. آه .. لقد ركبتُ سفينة الأحزان، تذكَّرتُ زوجي، وخنقتني الدموع، تذكرتُ أمي وأبي وإخوتي.

كنتُ صامتةً .. وبدأ يكلمني بهدوء وحنان: «سميرة حبيبتي ما لك؟» .. ثم رفع الغطاء عن وجهي بقوة، ونظر إليَّ .. وقال: «آه .. كم أنتِ جميلة».

بدأتِ الدموعُ تنزل منِّي ببطءٍ، وأنا أشعر أن غطاء وجهي لم يرفعه أحدٌ غير زوجي، كيف سمحتُ لنفسي أن أكون في هذا المكان..

أخرجني من ذهولي كلماته: «سميرة أول مرة تركبي فيها مع أحد!!».

قلت: «نعم».

قال: «لا تبكي.. لا تخافي.. أنت تحبينني.. ألم تقولي لي هذا الكلام في الشات؟»

قلت: «نعم، لكن أرجوكَ، أنت تعلم أنني متزوِّجة، وقد يرانا أحدٌ».

قال: «لا تخافي». وبدأ يزيد من سرعة السيارة، وبدأتِ النبضاتُ تتسارع في قلبي.

قلتُ: «أين أنتَ ذاهبٌ؟».

نظر إلي بخُبثٍ وابتسم ابتسامة غريبة، وقال: «قلتُ لكِ: لا تخافي». بدأ يمر في شوارع المدينة بسرعة، واتجه نحو الطريق السريع، خرجنا من المدينة ..

بدأتُ أبكي .. لقد وقعتُ في الفخ، تذكرتُ عندما كنتُ صغيرة في بيت أبي، البراءة تعلو وجهي، والطُّهرُ يملأني، تذكرتُ عندما تقدَّمَ «غانم» لخطبتي، تذكرتُ ليلة عُرسِي، فستان زفافي هل ترى سأدنسه هذا اليوم، بدأتُ أبكي بكاءً شديدًا .. أنا السبب .. أنا السبب ..

كنتُ أصرخ .. وكان هو يبتسم، وصلنا إلى مزرعة بعيدة عن المدينة، استقبلنا ثلاثة من الشباب الأقوياء، كانت وجوههم قبيحة، ما أن توقفتِ السيَّارةُ حتى سحبوني بقوةٍ، وبدءوا يشتمونني بأقبح الشتائم ..

وأنا التي لم تسمع أذنيَّ سوى أجمل الكلمات من زوجي «غانم»، بدءوا يضربونني، كنتُ أنظر إلى ذلك المعذَّب نظرات أستعطفه بها، بدأتُ أصرخ وهم يمزقون عباءة طُهري التي والله ما عرفت الحرام في يوم من الأيام ..

هل هذا هو حبك؟ .. هل هذا هو حبك؟

كان يبتسم، ويقول: «بشويش يا شباب على الفتاة، بشويش يا شباب على البنت الحلوة»، وتزيدهم هذه الكلمات عنفًا وقسوةً.

آه .. لقد أظلمتِ الدنيا أمام عينيَّ، أنا السبب ..

لا .. ليلى هي السبب ..

لا .. الإنترنت هو السبب ..

لا .. الشَّات هو السبب ..

لا .. ذلك المعذَّب هو السبب ..

لا .. أنا السبب .. أنا السبب ..

فرطتُ في طاعتي لربي .. أغمضتُ عيني ..

تذكرتُ ابنتي فاطمة .. آه يا طفلتي، لو علمتي أن أمك الآن بين أنياب هؤلاء الذئاب ..

آه .. يا ابنتي لو علمتِ، وتذكرتُ كلماتها وهي تسحبني من على كرسي الإنترنت .. وهي تقول: «ماما .. ماما .. ليش ما تجلسي معي مثل الأول؟ ماما .. لماذا لا تكلميني مثل الأول؟».

بكيتُ بحرقَةٍ وتذكرتُ «غانم» وهو يمسك بيدي بلطفٍ ويقول: «لماذا تغيرت يا سميرة، لقد تغيَّرت ابتسامتكِ الجميلة».

تذكرتُ «مرادًا» عندما كان يبكي، وأنا لا أبالي ببكائه، فقد سحرتني شاشة الكمبيوتر.

تذكرتُ المنادي: «حي على الصلاة، حي على الفلاح»، وأنا في لَهْوِي منشغلة، لا أجيب نداء الله، الآن جزائي ما أرى، فقدتُ طهري، فقدتُ عِرضي وكرامتي.

أنا لستُ تلك الزوجة .. أنا لستُ تلك الزوجة التي أخبر عنها النبي ﷺ: «إِذَا أَمَرَهَا زَوْجُهَا أَطَاعَتْهُ، وَإِذَا نَظَرَ إِلَيْهَا سَرَّتْهُ، وَإِذَا غَابَ عَنْهَا حَفِظَتْهُ فِي أَهْلِهِ وَمَالِهِ».

بدأتُ أصرخ: «سامحني يا «غانم» .. سامحني يا «غانم»، أنا لا أستحقكَ .. سامحيني يا «فاطمة» .. سامحيني يا ابنتي الجميلة، سامحني يا ولدي «مراد».

وجاءني من بعيد صوت ولدي الرضيع: «ماما .. ماما».

في تلك اللحظة أقسمتُ على نفسي أن أعود إلى ربي:

«يا ربِّ .. يا ربِّ ..

أنا سميرة التائبة ..

يا ربِّ .. أنا سميرة التائبة ..

يا من تقرأ قصتي .. يا من تسمعوا قصتي .. يا من تحسونَ بقصتي .. ادعوا لي .. فأنا سميرة التائبة .. تذكرتُ قول الله تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ﴾ [النمل:٦٢].

تذكرتُ تلك الآية، بدأت أنادي بكل خليَّةٍ في جسمي: «يا من يجيب المضطر إذا دعاه، يا من يجيب المضطر إذا دعاه».

كانوا يرَوْنَ دموعي فلا يرحمونني، ويرَوْنَ دُعائي فيسخرونَ منِّي، كانت شتائمهم مثل السهام تخترق جسدي، أحدهم قال: «الحينَ تقولين يا ربِّ، الآنَ تقولين يا ربِّ، لماذا لم تقوليها من زمان؟ لماذا لم تقوليها من زمان؟».

قضى كل واحد منهم مرادَهُ، ركبتَ السيارة وأنا أجمع علي ما تبقى من عباءتي الممزقة، وكان صاحبي في الخارج يدخن سيجارة، ثم ركب بجواري، وبدأ يقود السيارة وهو يضحك، قال لي: «لقد رحمناك من بكاءك».

قلتُ: «بعد ماذا أيُّها الندل؟».

لطمني على وجهي بشدة، سالتْ دماء شفتي ببطء بدأتُ أتحسس مكان اللطمة:

يا الله .. يا الله .. إنه خدي الذي طالما قبلتني منه ابنتي «فاطمة».

لم يتوقف بكائي حتى وضعني في نفس المكان الذي أخذني منه، جمعتُ عباءتي، ودخلتُ منزل والدي وقدماي لا تحملاني من الألم، أسرعتُ إلى الحمام غسلت وجهي بالماء، نظرتُ في المرآة لأرى نفسي في أول مرة بصورة قبيحة، أثر اللطمات على وجهي بارزة.

غسلتُ وجهي أكثر من مرة، خرجتُ وأسرعتُ إلى غرفتي القديمة، التي تحمل كل ذكريات الماضي من طُهرٍ وعَفافٍ وحشمةٍ، وأغلقتُ الباب، وانهرتُ في البكاء، بكيتُ كثيرًا، حتى أحسستُ أنني سأفقد بصري، كانت فاطمة تطرق الباب: «ماما .. ماما .. افتحي لي»، وكنتُ أبكي.

طرقتْ أمي الباب، فتحتْ وجدتني بهذه الحالة المُزْرِية، ضمتني إلى صدرها: «بنيتي، حبيبتي سميرة، ماذا أصابك؟»

.. «لقد أصابني صداع شديد، فسقطتُ على وجهي في السوق، ولا أستطيع التحمُّل». كان واضحًا من نبرات صوتي أنني أكذب.

تركتني أمي وذهبتْ، أغلقتُ الباب وسمعتُ صوت المؤذن لصلاة العشاء، هذا الآذان الجميل، إنه الله يناديني، فهل ستتوب عليَّ.

مرتِ الأيام الثلاثة وأنا لا أستلذ بنومٍ، كنتُ أتظاهر بأنني آكل مع أمي وأبنائي وأنا لا آكل، ضعف جسمي كثيرًا من كثرة البكاء وقلة النوم وعدم الأكل.

جاء «غانم» من سفره، وجدني مصفرَّةَ الوجه، حزينةً كئيبةً، لا أرفع نظري إلى وجهه ..

.. «سميرة ماذا بكي حبيبتي؟» .. وأنا لا أجيبه ..

فقط قلتُ له: «أنا تعبانة».

..أمسك بيدي ..

وفجأة .. بدأتِ اللحظات الرهيبة تعود على ذاكرتي كفيلم صغير، يمر أمام عيني، لم أتمالك نفسي، بدأت أبكي بشدة، وفجأة سَقَطُّ على الأرض.

أفقتُ بعد يومين لأجد نفسي في غرفة العناية المركزَّة، قالوا لزوجي: أنني أعاني من انهيار عصبي شديد، عدتُ إلى

البكاء مرَّة أخرى، بدأتُ أقول لنفسي: أنا لا أستحق «غانم» لأنه شريف.

فكرتُ في أن أطلب منه الطلاق، جاء وقت الزيارة، أمسك بيدي برفق وسالت دموعي:

.. «حبيبتي ماذا حدث، هل تشعرينَ بألمٍ؟»

كانت شفتاي ترتعشان، كأنهما يريدان أن يقولا شيئًا، لستُ أعرفه، نظراتُ «غانم» إليَّ كادت تقتلني.

.. «ماذا بكِ؟» .. قالها بصعوبة ..

.. «غانم .. غانم» وتحركتْ شفتاي وقالتْ: «أريدك أن تطلقني».

كانت تلك الكلمة مستحيلة، لكنني قُلْتُها؛ لأنني أعلم أنني دنستُ ثوب طهارتنا بذلك الحب المزيَّف، ألححتُ عليه كثيرًا: «أرجوك طلقني يا «غانم»، طلقني يا «غانم»، أنا لا أستحقك».

فكان يقول: «هل أنتِ مجنونة يا «سميرة»؟ عودي إلى الله، يا «سميرة» اقرئي القرآن، يا «سميرة» استغفري الله».

كنتُ أبكي في داخلي، فهو لا يعرف ما وقعتُ فيه، خرجتُ من المستشفى إلى بيت والدي، وكان «غانم» حنونًا عليَّ لأقصى درجة، بدأتْ صحتي تتحسن، لكنني إلى الآن ما أزال أطلب منه الطلاق، فالذنب يؤنبِّني ..

.. أنا خدعتُ زوجي .. أنا خنتُ عهد الله ..

تركني غانم أستريح قليلًا في بيت والدي، وها أنا الآن لا أدري ما أفعل، دخلتُ غرفتي الصغيرة، وجلستُ على مكتبي القديم، وكتبتُ لكم يا شباب الإسلام، ويا فتيات الإسلام كلماتي هذه لتعلموا أنَّه لا حبَّ يأتي عن طريق شاشة أو هاتف أو لقاء، إنما الحب الحقيقي الذي يأتي كيفما شرعه الله وسنه رسول الله ﷺ.

يا من سمعتم قصتي ..

أرجوكم قولوا: اللَّهُمَّ اغفر لـ «سميرة»، اللَّهُمَّ اغفر لـ «سميرة» ما فعلتْهُ، اللَّهُمَّ تجاوز عنها، اللَّهُمَّ اغفر لكل فتاة وشاب وقعا فيما وقعتُ فيه.

يا رب .. يا رب .. أنا سميرة التائبة ..

.. تقبل مني توبتي ..

يا رب أعيتني الذنوب وأثقلت ظهري العيوب
ضاعت حياتي في المعاصي وأنا الآن أتوب
كم قد ركنتُ إلى الهوان وخُدِعتُ بالزيف الكذوب
وحملتُ أوزارًا وَهَمًّا وامتلأت من الكروب
واليومَ أبصرتُ الضياءَ وأطعتُ علَّامَ الغيوبِ
وشرحتُ يا رب فؤادي وهديتني أحلى الدُّروبِ
وأغثتُ صدري يا إلهي بسحائب الأمل الطروب
حبَّبتُ للإيمان روحي وحميتني من ذي الخطوب
فارزقني يا رباه فوزًا أمضي لخُلدٍ في الغروب

.. يا شباب الإسلام ..

.. يا فتيات الإسلام ..

من الذي أعطانا الأجساد؟ من الذي أعطانا القلوب؟ من الذي ركَّب فيها الحب والشوق؟

أليس هو الله سبحانه..

إذًا هو المستحِقُّ للمحبَّة .. وكل محبةٍ ليست في مرضاة الله فمآلها إلى حزن وآلام.

أخي .. أختي ..

ليسأل كل واحد منَّا نفسه: هل نحن نحب الله بصدقٍ؟ حرِّكوا هذا السؤال مرة أخرى في عقولكم، هل نحن نحب الله بصدقٍ؟

ثم قفوا فجأةً وتأمَّلُوا فيما حولكم، هل لدينا ما يثبت أننا نحب الله حقيقة؟ تأملوا صلاتنا، معاملاتنا، أكلنا وشربنا، صلتنا للرحم، بِرَّنا للوالدين، قراءتنا للقرآن، تربيتنا لأولادنا وبناتنا وأخواتنا وإخواننا، تنقية قلوبنا من الحقد والحسد والضغينة؟

كل هذا هل نحن نُرضي فيه ربَّنَا، إذًا كيف نحبه سبحانه؟

إنَّ المحبَّة الحقيقية أيُّها الشاب عندما أنظر إلى فتاة جميلة أغض بصري مباشرة، و أقول لنفسي:

«لا يا نفس، اتَّقِ الله، نظرتي هذه لا ترضي ربي، وربما قادتني نظرتي إلى الهلاك»

وعندما تشاهد الفتاة شابًا وسيمًا أو تنظر إلى شاشة، أو تحدثُها نفسُهَا، فعليها أن تكفَّ نفسها، وتقول: «يا نفس اتَّقِ الله، فإن هذا لا يرضي الله».

يا أخواني .. يا جماعة ..

قِفوا معي وقفة ..

قِفوا معي وقفةً يسيرةً مع هذه الحالة العجيبة، التي يخبر الله جل وعلا فيها أنه لا يصلح أبدًا أن نقدِّم شيئًا من محبة الدنيا على محبة الله ومحبة رسوله ﷺ ومحبة دينه.

اسمعوا ماذا يقول الله: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ [التوبة:٢٤].

يا سبحان الله! يا سبحان الله!

يُخْشَى علينا والله أن نكون من الفاسقين، إن قدمنا محبة أي شيء على محبة الله ومحبة رسوله ﷺ ونصرة دينه.

يا شباب الإسلام، يا فتيات الإسلام، كم مرة ندخل إلى الإنترنت أو نشاهد في قناة فضائية؛ فنرى أو نسمع من يسبُّ الله سبحانه، أو يسبُّ رسوله ﷺ، أو ينتقِص من شأن الرسول ﷺ،

أو يهين كتاب ربِّنَا سبحانه، ولا تتحرك قلوبنا، ولا تهتزُّ مشاعرنا.

ماذا حدث .. أَكُلُّ هذا الحب الذي في قلوبنا تجاه عشيقاتنا، وتجاه حبيباتنا، ألا يستحق ربنا شيئًا منه، بلى والله، إن ربنا يستحقُّ الحب كلَّه، ألا يستحق رسولنا ﷺ شيئًا منه .. بلى والله، ألا يستحق قرآننا شيئًا منه .. بلى والله.

أخي .. أختي .. هل جربتم ما سأقوله الآن؟

شاهدوا معي هذه الصورة.

نخرج من الغرفة الساعة الثالثة ليلًا، نتجه إلى الحمام، نتوضأ، نعود بهدوء إلى غرفنا، نغلق الباب، ونصُف أقدامنا في محراب الصلاة، الله أكبر .. ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفاتحة:٢- ٤].

يا الله، ما أحلاها من لحظة .. لحظة مناجاة الحبيب سبحانه وتعالى، الذي محبته تُغني عن كل شيء، ترى هل شعرتم بحلاوة كهذه الحلاوة؟

لا والله .. لا والله .. سبحان الله تبدأ القشعريرة تسري في أجسادنا، وتفيض عيوننا بالدموع، حينها نعترف بكل ذنب،

ونقر بكل خطيئة، ونطلب من ربنا الصفح والغفران، ما أروع الأسحار، وما أحلى الخلوة بالرحيم الغفار.

طاب في نشره عبير غرامي
فتصافيت و الهوى يهديني
وحياتي حياة عالم قوم
عرف الحق دون أي فتون
ومقامي مقام صب مُعنًّى
ثابت الجأش صادق التمكين
دعواتي من الضياء ضياء
صرت كالفرقدين في التبيين
إن سكبت الثرى بجسمي
فروحي في سماء الهدى ونور اليقين
يرمس الناس في القبور ورمسي
حب ربي وفضله يكفيني
طال نوحي ولست إلا محبًّا
سمع الطير من أعالي الغصون

وســـــمعتُ الطيـــــور وهي تنـــــاجي
والتنـــاجي يثـــير شـــجوى الحنـــين
فتناجيـــــتُ بالأغاريـــــد حـــتى
هامـــتِ الطـــير مـــن ســماع حنيـــني
لـــم أمتـــع بغـــير ربي قلــــبي
ولهـــذا مـــاء الهـــدى يـــرويني
وأنـــا الثابـــت المحـــب دوامًـــا
لـــست أخـــشى عـــذل مـــن عـــذلوني
لـــو يـــذوقون بعـــض مـــا ذقـــتُ فيـــه
خففـــوا عـــذلهم وقـــد عـــذروني
أخـــضع الراســيات مـــن كلـــم العـــشق
فتعلـــو الجبـــال عنـــد أنيـــني
فمـــرامي وجـــه الحبيـــب وإن
مـــتُ شـــهيدًا فـــفي الرحـــاب ذروني
أمـــلي فيـــه أن يكفّـــرَ عـــني
مـــا تجـــاوزتُ مـــن حـــدود الديـــن

أنــــا إن كنــــتُ مــــذنبًا وأثيمًــــا
إنمــــا ذو الجــــلال لا يــــرديني
أنــــا إن كنــــتُ مــــذنبًا وأثيمًــــا
فــــرحيم العبــــاد لا يخــــزيني
أنــــا إن كنــــتُ مــــذنبًا وأثيمًــــا
فــــرضى الله ســــوف لا يخطيــــني
أنــــا إن كنــــتُ مــــذنبًا وأثيمًــــا
فــــإلهي مــــن الــــضنا يــــشفيني
أنــــا إن كنــــتُ مــــذنبًا وأثيمًــــا
إنمــــا رحمــــة الإله تقيــــني
علــــم الله أن قلــــبي ضــــعيف
فــــرواني بمــــا في عــــين اليقــــين

* * *

تبت.. يا رب..

قفوا معي وقفة في إحدى المستشفيات، وفوق سرير أبيض، وفي غرفة معزولة عن بقية الغرف، يدخل عليه المرضون والممرضات بقفزات ثقيلة، ومع أنهم يبتسمون في وجهه إلا أنهم يهفون في داخلهم خوفا من الاقتراب منه أكثر.

إنه «ياسر» هدَّ المرض قواه، أنهكَ جسمه بالقروح في كل مكان، شوَّه وجهه الأبيض الجميل، يديه القوية أصبحتْ عاجزةً عن حمل كوب ماء، نظر إلى ذلك القادم من بعيد، كان أحد الدعاة الأخيار، ابتسم في وجه «ياسر»، وابتسم له «ياسر» أيضًا.

قال الدَّاعية: «طَهورٌ يا «ياسر» إن شاء الله، اصبر واحتسب، هذا قضاء الله عليكَ، وهي فرصةٌ لك للتوبة والرجوع إلى الله سبحانه وتعالى».

نظر له «ياسر» نظرة تعني له الكثير، ثم أغمض عينيه وبكى، فتح عينيه المليئة بالآمال، وقال: «يا شيخ، كنت شابًّا قويًّا وسيمًا، أتباهى بقوتي وشبابي، سلب عقلي الإنترنت، كنت لا أجد موقعًا يحمل حرف (x و e و s) إلا ودخلتُ عليه، كل موقع جنسي لي فيه يد، كل ملف أو صورة لفتاة لابد وأن أكون قد اطَّلعتُ عليها، كنتُ مغترًا بحلم الله وستره عليَّ، وركبتُ سفينة الحرام، وأصبحتُ أسافر إلى الغانيات، من دولة لأخرى، وأُواعِد هذه وأقابل هذه، حتى أصابني هذا المرض، قالها بصعوبة، وهو يبتدر وشفتاه ترتجفان:

.. إنه (الإيدز)، يا شيخ ..

هكذا خدعتني الشاشة والملفات، والكليبات ورسائل البلوتوث، و..، و..

وها أنا طريحٌ على فراشي، والدي لا يزورني، إخوتي لا أشاهدهم إلا مرة في الشهر.

أمي يا شيخ، أمي يا شيخ -سكت، وبدأ يبكي- أمي أحنُّ الناس قلبًا وأرقُّهم فؤادًا، طالما احتضنتني تزورني مرة في الأسبوع وهي تنتظر موتي، أصدقائي أصدقاء السوء.

والله يا شيخ.. والله لم يزرني أحد منهم منذ علموا أنني أصبتُ (بالإيدز). لكن في قلبي يا شيخ أمل كبير، ليس في الشفاء ولكن في أن يتوب الله عليَّ.

يا شيخ بلِّغ الشباب إذا خرجتَ من المستشفى، بلِّغ الفتيات، بلِّغ الناس خارج هذه الغرفة، التي سئمتها، أنني والله تائب، والله عائد إلى الله.

أرجوك يا شيخ.. يتبرع لي أحدهم ساعة بصحته، ساعة واحدة أكون فيها صحيحًا، وسترون ما سأفعل، سأقوم على قدمي وأصلي الليل كله أبكي لله، أبكي لربي أبكي لما عصيتُهُ كثيرًا، وكنتُ لا أبالي به، فلعله أن يرحمني.

يا شيخ أريد أن أضمَّ القرآن إلى صدري، إنهم يمنعونني بالإمساك بالمصحف إلا لساعات قليلة، أريد أن أرى الكعبة.

يا شيخ، أريد أن أؤدِّي العمرةَ، أريد أن أذهب إلى مسجد الرسول ﷺ في المدينة، يا شيخ سجِّل أمنياتي هذه واكتبها فوالله أنا صادق فيها» خنقتْهُ الدموعُ، وظل يبكي.

قال بعد مدَّةٍ: «يا فرحتكم، تشمون رائحة الأزهار والأطياب، وأنا محروم منها، تشاهدون السماء الجميلة،

وأنا لا أشاهد إلا جزءًا صغيرًا من نافذة غرفتي هذه.

يا شيخ .. والله، كنتُ لا أحب الله، كنتُ لا أحب الصلاة، كنتُ لا أحب أهل الخير والاستقامة، كنتُ لا أحب أصحاب اللِّحى، لكنني والله الآن أحب الله ورسوله.

والله إنني أحبُّ الله بصدقٍ، ليس لأنني مريض، ولكن إني علمتُ أن قلبي لا يحيى إلا بقربه من الله، إلا بحب الله، وحب رسول الله ﷺ، وحب دينه، والله لولا رحمة الله بي لَمِتُّ من شدة ما بي من الألم»

تأوَّه «ياسر» بشدَّةٍ، وهو يقول:

«تبت يا رباه .. تبت يا رباه»

أنــا العبــد الذي كــسب الذنوبــا
وصــــدتْهُ الأمــــاني أن يتوبــــا
أنــا العبــد الذي أضــحى حزينــا
على زَلَّاتــــهِ قلقًــــا كئيبــــا
أنــا العبــد الذي ســطرتْ عليــه
صحائفُ لــم يخــفْ فيهــا الرقيبــا

أنـا العبـد المسيء عـصيتُ سرّا
فمـا لي الآن لا أبـدي النَّحِيبـا
أنا العبـدُ المُفرِّطُ ضاع عمري
فلـم أرعَ الـشبيبة والمـشيبا
أنـا العبـد الغريـق بِلُـجِ بَحْـرٍ
أصـيحُ لربمـا ألـقى مُجيبـا
أنـا العبـدُ الـسقيمُ مِنَ الخَطايَـا
وقـد أقبلـتُ التمـسُ الطَّبيبـا
أنـا العبـدُ المُخلَّـفُ عـن أنـاسٍ
حَـوَوا مِـن كُلِّ معـروفٍ نَـصيبَا
أنا العبدُ الـشَّريدُ ظلمـتُ نَفسي
وَقَـد وافيـتُ بـابكمُ مُنيبـا
أنـا العبـدُ الفقـيرُ مـددتُ كـفِّي
إليكـم فـادفعوا عَـنِّي الخُطوبـا
أنا الغـدَّار كـم عاهـدتُ عهـدا
وكنـتُ على الوفـاء بـه كَـذوبا

أنــا المَقطـوعُ فــارحمني وَصِــلْنِي
ويــسرْ منــكَ لي فَرجًــا قريبــا
أنَــا المُـضطرُّ أرجـو منـكَ عفـوا
ومــن يرجــو رضــاك فلــن يخيبــا

تُرى بعد هذا كله، هل عرف المحبون كيف يكون الحب؟ هل أدرك العشَّاق كيف يكون العشق؟

يا من تقرأ كلماتي هذه، يا من تقرئين كلماتي هذه، هل فهمتم معنى الحب؟

الحب ذلك الشعور الجميل، الذي لا يكون إلا لمن يستحقه، لا يعبث به، ولا يُلعب.

يا أيها الشاب .. قلبكُ وحبكُ ليس لكل فتاة ..

ويا أيتها العفيفة .. يا أيتها المصونة ..

حبكِ وعواطفكِ ليس لكلِّ شابٍّ يرميكِ بسهام الغرام، الحبُّ نعمةٌ كبرى أودعها الله في قلوبنا، لا تكون إلا لمرضاة الله سبحانه وتعالى.

أحد الشباب يقول: أحب فلانةً أكثرَ من كل شيءٍ حتى من نفسي، وهي تقول أحبُّ عشيقي أكثر، وأكثر، وأكثر.

يا سبحان الله !!

هل يا تُرى سمعتِ يا أُختي؟ هل يا تُرى سمعتَ يا أخي هذه الآية: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ [البقرة:١٦٥].

صحيح والله، كل مَحَبَّةٍ على غير هُدًى هي ظلم الإنسان لنفسه؛ لأن النفس لا تتحمَّل إلا محبةً لله وفي الله، ليس هذا فقط، أكمل مع هذه الآية أكملي يا أختي هذه الآية: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴾ [البقرة:١٦٦].

يا فلان .. كنتُ تحبني .. كنتَ تعشقني .. واليوم تبرأتَ مني، وهو يقول: «يا فلانة .. كنتِ تحبينني ..كنتِ تقولين لي أن حبِّي قد ملأ قلبكِ، ما بالك اليوم تتبرئينَ منِّي»

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا۟ مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ [البقرة:١٦٧].

* * *

مات ساجدًا..

محمد.. في أمريكا..

ركب محمدٌ الطائرة، عدّل جلوسه في مقعده، وربط حزام الأمان، كان نشيطا قويًا، يحمل قدرًا كبيرًا من الوسامة الظاهرة، كان بعيداً عن ربه سبحانه وتعالى.

أقلعتِ الطائرة، وبدأ محمد التفكير في رحلته إلى الولايات المتحدة الأمريكية، أنه سيستمتع هناك بأنواعٍ من المشروبات، ستحتضنه المراقص والملاهي الليلية، سوف يجد الكثير من الفتيات اللواتي يبحثُ عنهنَّ.

مضتِ الرحلة وهو يُرتِّبُ ويخططُ، لم يَدُرِ بباله لحظة أن الذي أعطاه القوة والشباب قد يحرمه منهما في أي لحظة.

وصل إلى أمريكا واستأجر شقةً وضع فيها أمتعتَهُ، وبدأتِ الجولات سهرًا بالليل حتى الصباح ونومًا حتى المغرب.

طَرَقَ الأذانُ سمعَهُ في أكثر من مرة، في أكثر من زاوية لأقليات المسلمين هناك، لكنه لم يفكر في أن هذا النداء له هو، لأنه مسلم، أنفق الكثير من المال، سكر حتى ما عاد يدرك شيئًا من حوله.

قال محمد: «مضت حياتي على هذا المِنْوال، حتى جاءت تلك الليلة، دخلتُ إلى ذلك المَلهى اللَّيلي، كان مليئًا بالفتيات الجميلات، طلبتُ كأسًا وبدأتُ أرتشف، كنتُ أعلم أن الله سبحانه حرَّم الخمر، لكنَّ شهوتي وغروري وحلم ربي كانوا قد أنسوني كلَّ شيء.

من بعيدٍ نظرتْ إليَّ تلكَ الفاتنة واقتربتْ، كانت نظراتها تحمل الحب والغرام، اقتربتْ أكثر، ثم مدَّتْ كَفَّها ورمَتْ بجسدها في حضني، صحيح أنني قد عصيت الله كثيرًا، لكن شعوري في تلك اللحظة كان مختلف عن كل مرَّة، كانتْ ملامحها تدل على أنها عربية.

وفجأة تكلمتْ بلكنةٍ عربيَّةٍ مكسرةٍ، قالتْ: «هل أنتْ عربي» قلتُ: «نعم»، قالتْ: «وأنا كذلك، ومعي الجنسية الأمريكية، وأنا مولودة هنا منذ زمان»، سألتني: «ما اسمك؟»

قلتُ: «محمد»، قالتْ: «أنا لا أحبِ هذا الاسم»، قلتُ: «لماذا؟»، قالتْ: «لأنني نصرانية».

ارتعد جسمي فجأة، فقد أحس قلبي بعدائها للإسلام، لكنَّ هذا كان لا يؤثر فيَّ من كثرة الشهوات التي سكنتْ وغطَّتْ على قلبي، ابتسمتُ وغيَّرتُ الموضوع: «هل تحبين الرقص؟»، قالتْ: «نعم».

صعدنا معهم، رقصنا، ومضتِ الساعات طويلة، وطلبتُ منها أن تأتي معي ولكنها رفضتْ، حاولتُ أكثر من مرة أن تمكنني من نفسها لكنها رفضتْ.

انصرفتُ تلك الليلة وعيناي لا تفارقهما صورة تلك الفاتنة، ضعُف قلبي كثيرًا لبُعدِهِ عن الله سبحانه وتعالى، ومرَّتِ الليلة الثانية والثالثة، وفي كل مرة يزداد القلب بها حبًّا وغرامًا، حتى حصلتِ الفاجعة، تكلمتُ معها تلك الليلة، وقلتُ لها: أريدكِ أن تبيتي عندي هذه الليلة: «أنا موافقة بشرط أن تلبس هذا!»

وأخرجتْ من جيبها سلسلة في وسطها صليبٌ صغيرٌ،

تملكني شعور غريب، صحيح أنني عاصٍ لله، صحيح أنني لا أصلي، صحيح أنني لم أرَ والدي من شهورٍ، لكنني مسلم، ولكن حبَّها فاق كل شيء، أسرعتُ وأخذتُ السلسلة وعلقْتُها في رقبتي كالمأسور، كالسجين، وأنا أبتسم.

قالتْ بتعجبٍ واهٍ: «إنها لجميلة عليكَ .. هي هديةٌ مني لكَ، لكن لا تقابلني إلا وأنت تلبسها».

مرتِ الليالي مع تلك الفاتنة، لذيذة، جميلة، كان الشيطان يزيُّنها لي، وفي ليلة رفضتِ المجيء معي، كنتُ في شدة شوقي إليها، حاولتُ أن أستعطفها حاولتُ إغرائها بالمال، قالت: «لا .. بصراحة أريدكَ أن تصبح مسيحيًا!».

يا الله .. يا الله ..

وقعتْ كلماتها على قلبي كالصاعقة، قلتُ: «مستحيل»، قالتْ: «وأنا مستحيل أن أرافقك بعد هذه الليلة».

بدأ الشيطان يضحك عليَّ، كان يقول: «قل موافق، قل موافق فقط، ولا يضرك، قل: كفرتُ بالإسلام، ولن يضرك شيء، فستريحك هذه الفتاةُ».

ومضتْ تلك الليلة، وجاء الغد، فإذا هي أكثر إغراءً وجمالًا، اقتربتْ مني حتى أصبح وجهها قريبًا من وجهي، وقالتْ: «يا قاسي .. ألا تحس بالحب».

ذوبتني تلك الكلمات، حتَّى لقد كدتُ أسقط، قلتُ: «بلى، وما الذي جعلني أتعذَّب وأتعلَّق بكِ».

قالتْ: «إذًا ما الذي يمنعكَ من أن تتنصرَ، بل سأوافق على الزواج بكَ إذا تنصَّرت».

هنا خارتْ عزيمتي، نسيتُ كل شيء، نسيتُ أن اسمي محمد، اسم رسول الله ﷺ، نسيتُ عندما كان والدي يوقظني وأنا في الابتدائية لصلاة الفجر، نسيتُ والدتي التي كانتْ تدعو لي بالهداية، حين أدخل إلى البيت في ساعة متأخرة من الليل، نسيتُ نفسي، لقد أصبحتُ عبدًا للحبِّ والهوى.

ذهبتُ معها وحلقت رأسي، وتنصَّرتُ، دخلتُ الكنيسة لأول مرة، بكيتُ بدون شعور، كانت دموعي تهرب من عيني، وأنا أدخل من باب الكنيسة.

يا الله .. بعد هذا العمر الطويل أصبح كافرًا .. أصبح كافرًا وجزائي ماذا سيكون؟ النار!

أين خوفي من الله .. أين حَيَائي .. أين مجدي وعِزِّي بديني .. لقد مات كل شيء، ورجعتُ بعدها إلى شقتي كالمجنون، كنتُ أتحسس رأسي الأصلع، وأقول لنفسي: «ماذا فعلت يا محمد .. هل تركت دينَ محمدٍ».

بدأتُ أبكي كثيرًا، أغلقتُ باب شقتي وأخذتُ أغرق في بحر من الدموع، جاء الشيطان ويقول: «لا طريق للرجوع يا محمد، لا طريق للرجوع، لقد أصبحتَ الآن كافرًا، وستموتُ على الكفر، وستدخل النار».

تذكرتُ جدِّي عندما كان يؤذن للصلاة، تذكرت مصحفي الذي كان بغرفتي، آه تذكرتُ صديق قلبي، كان يكثر من نصيحته، ويقول: «يا محمد احذَرْ من سوء الخاتمة».

بدأتُ أصرخ وأقول: «لا يا رب .. لا يا رب، لا تقبض روحي الآن، سأعود للإسلام، سأعود للقرآن، سأعود إليك يا رب».

دخلتُ الحمام وألقيتُ تلك السلسة والصليب في المرحاض، واغتسلتُ وتطهرتُ وخرجتُ، لقد شعرتُ بأن كل ذنوبي زالت من فوق ظهري، قُلتُ ودموعي لا تقف: «أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله»

يا الله .. ما أحلها من كلمات كانت مفتاح السعادة، يا رب .. أنا عائدٌ إليك .. أنا عائدٌ إلى الصلاة .. أنا عائدٌ إلى بر الوالدين .. أنا عائدٌ إلى صلة الأرحام .. أنا عائدٌ إلى صوم رمضان .. أنا عائدٌ إلى كل ما يرضيك يا رب.

ركبتُ أول طائرة تذهب بي إلى بلدي، كان أول شيء سمعته حين نزلت إلى المطار هو الأذان، خرجتِ الدموع دون إرادتي: هل يا تُرى سيغفر لي ربي ..

دخلتُ على والدتي، رميتُ جسمي في حضنها أبكي: «يا أمي لن أعصي ربي أبدًا، يا أمي سامحيني في عقوقي لكي وَبُعدى عنكِ». ضمتني إلى صدرها قالتْ: «ولدي أحسن إلى ربك، فهو رحيم يفرح بمن تاب إليه».

مرتِ الأيام ومحمد من روضة إلى روضة، ومن سعادة إلى سعادة، وكُلَّما تذكر تلك الرحلة لا تجف دموع عينيه، إذا اقتربتْ والدته من غرفته ليلًا تسمع أنينًا وبكاءً، وإذا جاء الصباح تسمع قراءة القرآن والاستغفار.

جاء يومٌ من الأيام، دخلتْ والدته باب غرفته لتوقظه لصلاة الفجر، ففتحت الباب، فوصل إلى أنفها رائحة طيبة ذكية،

ما رأتْ مثلها قط، تحسست ولدها في سريره، مدتْ يديها فلم تجد ولدها، نظرت ببصرها الضعيف فإذا هو ساجد على سجادة الصلاة قرب سريره، وقفتْ تتأمَّلُ فيه وَطَال انتظارها، نادتْ: «محمد، ولدي» .. لم يرفع رأسه، فاقتربتِ الأم، مدتْ يدها، حرَّكَتْهُ، فمالَ على جنبه، نظرتِ الأم ولم تتحمَّلْ، هل تُرى ولدها قد مات، وهو ساجد؟

لم تتحمَّل وهي تشاهد هذا المشهد الرائع، خرجتِ الدموعُ من عينيها غزيرة وهي تنادى: يا أولاد .. يا أهل المنزل .. يا أهل البيت .. أنظروا إلى أخيكم محمد .. اقتربوا حرّكوه».

يا الله .. لقد مات ابني محمد .. يا رباه مات وهو ساجد ..

علمتْ أن الرائحة التي وصلت إلى أنفها هي رائحة روحه الطاهرة، التي رفعتها ملائكة الرحمة، وصعدتْ بها إلى ربه ومولاه، وفرح مولاه بعودته فرزقه خاتمة حسنة ..

أحبَّ الله .. فأحبَّ الله لقاءه ..

هنيئًا يا محمد هذا الحب .. وهنيئًا هذه الخاتمة ..

أرأيتَ أخي .. أرأيتِ أختي .. هيَّا مدُّوا أكفكم جميعًا،

دعونا نتعاهد ألا نحب إلا الله سبحانه وتعالى، وأن نبغض ما يبغضه الله جل وعلا، لعل الله سبحانه أن يتداركنا برحمته.

يا أرحم الرحماء..

يا أرحمَ الرحماء.. ما لنا حيلة إلا الرجوع إليكَ..

ربـاه أنـا قـد أسـأت وأنـت ربٌّ غافـرُ

أوَّاهُ ممـــــا نابــــنـي أوَّاهُ

أدركْ بلطفـــك نادمًـــا ذا حـــسرةٍ

مـــستغفرًا ممـــا جنتـــه يـداهُ

مـــا للـــضعيفِ إذا ألمَّـتْ كربـةٌ

إلا الدعاء.. الله.. يـــــا الله

اللهُمَّ أَصلحْ شباب المسلمين، واجعلهم بالصحابة مقتدين، واحفظهم من ضلال المضلين.

اللهُمَّ أصلحْ فتيات المسلمين، واجعلهنَّ بالصحابيات مقتديات، يا رب العالمين.

اللهُمَّ ارزقنا حبَّك، وحب من يحبك، وحبَّ العمل الذي يقربنا إليك، يا حيُّ يا قيومُ.

اللَّهُمَّ اجعلنا على سيرة نبيك سائرينَ، ولسنَّتِهِ مُتَّبعينَ، واحفظنا بحفظك يا أرحم الراحمين.

اللَّهُمَّ وفق وُلاة أمور المسلمين لما تحبُّ وترضى، وارزقهم البطانةَ الصالحة التي تعينهم على البرِّ والتقوى، وجنبهم بطانة السوء.

اللَّهُمَّ انصر عبادك المجاهدين في كلِّ أرضٍ، وتحت كل سماءٍ، اللَّهُمَّ كنْ لهم عونًا ونصيرًا ومؤيدًا وظهيرًا، اللَّهُمَّ كن لإخواننا المستضعفين في كل أرضٍ وفي كل مصرٍ.

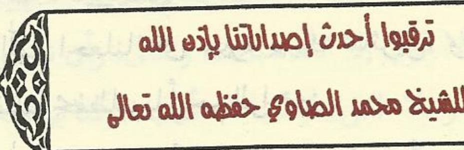
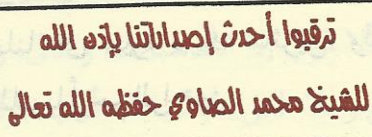
اللَّهُمَّ يا حيُّ يا قيومُ مُنَّ عليهم بالنصر العاجل القريب، إنك على كل شيء قدير.

اللَّهُمَّ صلِّ على عبدك ورسولك محمد

وعلى آله وصحبه أجمعين.

* * *



ترقبوا أحدث إصداراتنا بإذن الله

للشيخ محمد الصاوي حفظه الله تعالى

صاحبي أنقذني

إني أحبه

في قلبي
يا رسول الله

صناعة الأبطال

صاحبي قتلني

عائد

أرجوك
لا تتزوجني

المتهم

عاشقة الجنة

دلوني
على الجميلة

اللحظة الأخيرة